

في نور محمد فاطمة الزهراء

وأما إذ أبرم تعالى حكمه في زينب، فانقطع ما كان بينها وبين زيد من رباط، وانحلت بالطلاق عقدة النكاح... فلقد تحررت السيدة، وغدا من حقها كأيّ امرأة خالية الدخول في عصمة أيّما رجل من المسلمين شاءت وشاء. أفترى أن ارتضت النبي زوجاً، وارتضاها زوجةً، لـيَمَتَ وَلَيمَ؟ ولماذا ملامة اللوأم؟ ماذا عليهما والحلال حلال؟ وهل هي إلاّ امرأة كغيرها من النساء؟ وهل النبي، بالمقياس البشري، إلاّ كسواه من الرجال؟ أم حسب الناس أن ربّه يحرم عليه ما يحلّ لعباده أجمعين؟ بل إنّ أعدل حكماً، أقوم شرعةً، أقسط نَصَفةً، لا يكيل لأحد من خلقه بمكيال، ويكيل لآخر بغير هذا المكيال. ويشتدّ الحرج على رسول الله، ومن وراء هذا الحرج عُرف أُشربتته القلوب والعقول، وجماعات ألصق بماضيهم الحالّك منهم بالحاضر المستنير، إنهم ما زالوا يعيشون يومهم مع الأمس المقبور، يجمّدون الزمن في أحاسيسهم فلا يسير، ينفرون من النور نفور الخفافيش، يتعبّدون في محاريب آلهة الظلمة التي أقامتها لهم تقاليد الجدود. * * * لكنّ الله يحسر[1055] عن نبيّه ما هو فيه من ضيق ضاغط يكاد يكتم الأنفاس، ومن خشية السنة تلفظ بهجّر القول، زارية على الرسول أن تزوّج بامرأة «ابنه» متبنّاه، ومن خوف قلوب سقيمة قد يجرّها تعمّيبها الأعمى لعرفها المنسوخ إلى انشطار نفسي يودي بها إلى الازورار[1056] عن الدين. ويحسم ربك الأمر، في بيانه الرّباني يجل ما كان بين زيد وزينب، وما كان من